

## ملاحظات حول عمليات ترجمة الكتب إلى العربية في خمس دول من أوروبا الشرقية ما بعد العام 1989

### خلاصة عن نتائج الاستطلاع

#### آفاق الاستطلاع

في أواخر العام 2008، فوّضت مؤسسة Next Page إلى سبعة باحثين<sup>1</sup> مستقلين مهمة القيام بأبحاث تهدف إلى تقديم ملخص عام عن حال عمليات ترجمة الكتب إلى العربية في البوسنة والهرسك، وبلغاريا، والمجر، وبولندا وصربيا وسلوفانيا. وهدف اختيار البلدان إلى تمثيل توازن في ما يخص نسبة القراء ودور النشر فضلاً عن تاريخ الروابط الثقافية لهذه البلدان مع العالم العربي.

والجدير ذكره أنّ السؤال الأساسي الموجّه إلى الباحثين يكمن في معرفة نوع المواد العربية المترجمة حالياً إلى لغات دول أوروبا الشرقية هذا فضلاً عن معرفة الجهة المترجمة لهذه المواد والسبب وراء ذلك. وعيننا هنا بعبارة "عمليات الترجمة" الكتب المترجمة مباشرة من العربية فحسب، غير أنّ الباحثين أختاروا أن يضيفوا أيضاً المقالات في الصحف. وفي المقابل، اهتمنا بالنظر إلى حصة الترجمات إلى العربية في الأسواق المحلية وفي امكانية وجود أي واضحة في ديناميّة هذه الترجمات وبالتالي العوامل التي تحدّد هذه الديناميّة. إلى ذلك، ذهبت شروط الاستطلاع إلى حدّ طرح سؤال جريء يتلخّص في مدى الترجمات إلى العربية في هذه الدول الخمس. غير أنّ قلة البيانات ناهيك عن قلة الترجمات جعلت هذه المسألة في غير محلها.

#### موجز ملخص عن النتائج

### 1- الترجمات من العربية تمثّل جزءاً بسيطاً من الكتب المترجمة في دول أوروبا الوسطى والشرقية

بلغ عدد الكتب المترجمة من العربية في الدول الخمس كلها في العقد الأخير من صفر إلى 3 كتب في السنة علماً أنه في المرحلة عينها تفاوتت نسبة الترجمات من كافة اللغات من 20 إلى 40% من مجموع مواد النشر في الدول الخمس. ومن هنا، تعتبر هذه الأرقام أكثر من "بسيطة".

---

1- تألّف الباحثون من البوسنة والهرسك (زهرا أليسايفيك)، ومن بلغاريا (نيديليا كيتايفا)، ومن المجر (لازلو توسكي)، ومن بولندا (مارسن ميهالسكي)، ومن صربيا (دراغان بيتروفيش استبدلته في ما بعد دراغانا ديوردجيفيتش) وسلوفانيا (بربرا سكوبيتش). وفي الواقع، تمّ إنهاء خمس استطلاعات فقط لأنّ الباحث في البوسنة والهرسك توقف عن متابعة الاستطلاع.

وخلافاً للتوقعات الأولية، لا يعني حجم قطاع النشر المحلي وعافيته بالضرورة أنه يؤدي إلى عدد أكبر من الترجمات من العربية. ففي بولندا مثلاً، يبلغ عدد الترجمات العدد عينه تقريباً في بلغاريا وصربيا، علماً أنّ قطاع النشر في بولندا أكبر بثلاث مرات. وغالباً ما تعود الأسباب المنقولة وراء أعداد الترجمات القليلة من العربية إلى قطع العلاقات السياسيّة ما بعد العام 1989، ما أدّى أيضاً إلى قطع العلاقات الثقافيّة، وصعوبة اللغة العربيّة، ونقص السياسة الثقافيّة الخارجيّة في الدول العربيّة فضلاً عن عدم توفر جالية عربيّة كبيرة في أوروبا الشرقيّة من شأنها أن تسدّ مسدّ الرابط الثقافي ما بين المنطقتين. أمّا بالنسبة إلى سلوفانيا، فقد شكّل غياب البرامج الجامعيّة التي تُعنى باللغة العربيّة عائقاً أمام الروابط الثقافيّة وحركة الترجمة ما بين اللغتين.

## -2 تكثُر الإحصاءات فيكثُر الجدل

جمعت هذه الأعداد والبيانات الخاصة بالكتب المذكورة في الاستطلاعات الخمسة من خلال المكتبات الوطنيّة، وتوفّر المكتبات الشرقيّة المحليّة المزيد من المعلومات في هذا المجال. ومن ثمّ قورنت هذه البيانات مع المعلومات التوفّرة في Index Translationum، وهي مكتبة الترجمات الدوليّة التابعة للأونيسكو. وجاء عدد الترجمات الإجمالي من العربية وفق المصدرين مشابهاً من النظرة الأولى. غير أنّ اختلافات عميقة ظهرت عند مقارنة الكتب الحقيقيّة وراء هذه الأعداد. وبالرغم من أنّ المكتبات الوطنيّة والمكتبة الدوليّة التابعة للأونيسكو تظهر أعداداً متشابهة، فإنها غالباً ما تتضمن كتباً مختلفة.

واليك في ما يلي مثالاً عن هذه الاختلافات:

### المرحلة ما بين 1990-2000

ملاحظات	عدد الترجمات من العربية وفق المصدرين	عدد الترجمات من العربية وفق المكتبة الوطنيّة	عدد الترجمات من العربية وفق المكتبة الدوليّة التابعة للأونيسكو	البلد
تتضمن المكتبة التابعة للأونيسكو أيضاً 5 كتب من لغات أخرى	13	39	36	بلغاريا
تتضمن المكتبة التابعة للأونيسكو 10 كتب دينية غير واردة في المكتبة الوطنيّة كذلك بعض الكتب من لغات أخرى	3	23	38	المجر
تتضمن المكتبة التابعة للأونيسكو أيضاً 3 كتب من لغات أخرى	16	38	48	بولندا
تتضمن المكتبة التابعة للأونيسكو أيضاً 4 كتب من لغات أخرى	غير متوفّر	124	61	صربيا
تتضمن المكتبة التابعة للأونيسكو 5 كتب من لغات أخرى	1	13	13	سلوفانيا

ويعود جزء من هذه الاختلافات إلى نقص في المعلومات الدقيقة ما بين المكتبة الدولية التابعة للونيسكو والمكتبات الوطنية في ما يخصّ "الترجمة من العربية". وفي المصدرين الأنفي الذكر، غالباً ما نجد ترجمات من الفارسية أو العربية مفهومة عن طريق الخطأ ضمن باب اللغة "العربية". كما لا تشير الترجمات العديدة التي نشرت في الأوقات الصعبة من أوائل التسعينات إلى اللغة الأساسية، وبالتالي فهي تعتبر أو تصنف عشوائية. إلى ذلك، تُحدّث المكتبات الوطنية بنسبة أكبر من المكتبة الدولية التابعة للونيسكو وبالتالي لا نجد بعد العديد من المنشورات العائدة إلى العام 2008 في هذه المكتبة الدولية. غير أنّ ما يحيرنا هو واقع أنّ المكتبات الوطنية تمدّ المكتبة الدولية بالبيانات بشكل أساسي.

### -3 الأدب الكلاسيكي يطغى بشكل واضح على الكتابات النثرية المعاصرة

يبدو أنّ المؤلفات العربية ترادف  $F \text{ } F \text{ } \check{u} \text{ } \check{a} \text{ } \check{i}$  ! ففي الواقع، إنّ ثلث الترجمات في المجر وبلغاريا وربيعها في بولندا عبارة عن نسخ مختلفة من ألف ليلة وليلة! غير أنّه، وعلى نحو مذكور، ليست هذه هي الحال في صربيا حيث يهيمن كتاب النثر المعاصرون على السوق بصور طبعيتين أو ثلاث طبعات من كتبهم الستة!

### -4 المترجمون لا يزالون القوة الدافعة الأساسية وراء كلّ كتاب منشور

غالباً ما تشكل جهود المترجمين إلى العربية وحماسهم القوة الدافعة الوحيدة وراء صدور المنشورات من العربية. وبغضّ النظر عن بعض الناشرين المتعاونين مع المعاهد الشرقية والجمعيات الإسلامية، نجد عدداً قليلاً من الناشطين الذين أظهروا سياسة طويلة الأمد في ما يخصّ الترجمة من العربية. ففي بولندا نجد Dilaog and Państwowy Instytut Wydawniczy، وفي المجر 'Ulpus ház, Európa Könyvkiadó Helikon Könyvkiadó، وفي صربيا 'Paideia, Clio, Geopoetika, and Samizdat B92، وفي سلوفانيا (راجع علامة النجمة \*). بينما لا نجد في بلغاريا أي ناشر خاص غير مسلم يملك ما لا يزيد عن كتابين عربيين في لائحة كتبه. أمّا سلوفانيا وصربيا فيشكّلان استثناء في هذه الحالة إذ ثمة دلالات إلى بدء ناشرين يعنون بالأدب الروائي بأخذ المبادرة بنشر المؤلفات الأدبية العربية كما هي الحال في القصص الروائية الأخرى، وذلك بدلاً من الاعتماد فقط على اقتراحات المترجمين.

### -5 بولندا ترجمت عدداً أكبر من الكتب ما بعد العام 1989 بينما جاء عدد ترجمات الدول الأخرى أقل

أدى سقوط الأنظمة الشيوعية في العام 1989 (وحرب يوغوسلافيا) إلى الركود الاقتصادي وانعدام الأمن في البلدان كافة من هذه المنطقة من أوروبا. وسبب التراجع في نظام الدولة المتعلق بالنشر واحتكار الدولة في ما يخص السياسة الثقافية على المدى الواسع هبوطاً مهماً في عدد الترجمات من العربية في البلدان كافة باستثناء بولندا التي سجّلت تزايداً نسبته 70% بالمقارنة مع العقد السابق للعام 1989. ومجدداً، تشكل سلوفانيا استثناء في هذه الحالة إذ إنّ ما قبل العام 1990، كانت تتم معظم الترجمات انطلاقاً من اللغة اليوغوسلافية المشتركة.

### -6 جائزة نجيب محفوظ للأدب هي العلامة الوحيدة البارزة في دينامية الترجمات

وهنا أيضاً لا يمكننا التعميم. ففي حين أنّ أعمال نجيب محفوظ الأساسية ترجمت إلى اللغة المجرية والبولندية والصربية، لا نجد أي ترجمة له في البلغارية. وللأعوام العشرين الأخيرة، يشكل محفوظ، فضلاً عن Gao Xingjian، رابع النوبل الوحيد الذي لم تتوفّر مؤلفاته للقراء البلغاريين. والجدير ذكره أيضاً في ما يخصّ بلغاريا أنّه تترجم كتب قليلة الشهرة في مجالي الأدب الروائي والشعر بينما تبقى أعمال الكثير من المؤلفين العالميين على لائحة الانتظار.

## 7- الترجمات من العربية قلما تحقق اختراقاً في عملية توزيع الكتب وفي ملحقات الإعلام وأخيراً في لائحة القراءات في هذه البلدان

يعتبر هذا التصريح أيضاً صحيحاً (باستثناء صربيا هنا أيضاً) في ما يخص الأعمال المعاصرة التي أحدثت نجاحاً في سوق اللغات الأخرى أمثال الانكليزية والفرنسية. ففي الواقع، وبالرغم من أنّ الدراسات لم تركز على ترجمة أعمال المؤلفين العرب إلى لغات أخرى غير العربية، من الأمن القول إنّ أولئك المؤلفين لا يعرفهم القراء في دول أوروبا الوسطى والشرقية شأنهم في ذلك شأن زملائهم الذين يكتبون بالعربية. ونجاح الأصواني في المملكة المتحدة وأمين معلوف في فرنسا كبير جداً بحيث إنّه يدل إلى أنّ الناشرين والمترجمين في دول أوروبا الوسطى والشرقية لا يزالون يعتمدون على الروابط المباشرة مع الأدب العربي بدلاً من التشبه بما يحدث في الأسواق الأخرى في أوروبا. غير أنّ المؤلفين العرب الذين يكتبون بلغات أخرى في سلوفانيا وصربيا والمشهورين في أوروبا الغربية معروفون أيضاً من الجمهور السلوفاني.

### 8- منشورات أدبية دورية - قناة مهمّة

عندما يتعلق الأمر بلغات غير محكية إلا من عدد صغير نسبياً من السكان كاللغات المحكية في دول أوروبا الوسطى والشرقية وبمجموع منقسم من القراء وتوزيع معرفل للمنشورات، تلعب المنشورات الأدبية الدورية دوراً أساسياً في مجال التواصل الثقافي. فغالباً ما تنشر مقتطفات روايات أو حتّى روايات بكاملها في منشورات دورية بدلاً من صدورها في مجلد واحد. وتبرز هذه النزعة بشكل كبير في قوائم المؤلفات الأدبية المترجمة المتأتية من صربيا وسلوفانيا، وبشكل واضح في بلغاريا.

### 9- الرابط ما بين السياسات والثقافة - بعض الأمثلة

في حين أنّ الرابط ما بين السياسات والثقافة لا يشكل أي مفاجأة، من المهمّ النظر في حال السياسة المتعلقة بالترجمة من العربية. ولا تختلف أوروبا الشرقية في تطوّعاتها الاستشراقية عن غيرها من دول أوروبا، هذه التطوّعات التي اعتبرت مواد المكتبة الشرقية كمجرد معلومات فقهية أو لغوية أو تاريخية أو جغرافية وقلما أعارت قيمة الأعمال الجمالية اهتماماً. ومن جهتها، رأت الحقبة الاشتراكية في فكرة الأدب دعاية سياسية. كما دعمت التبادل الأدبي بفضل تمويل دولي هام. ولاحقاً، وفي أوائل التسعينات وفي فترة ما بعد 11 أيلول، لم يتوفر للقراء سوى كتب عربية رديئة المستوى تتحدّث عن الأميرات المحجّبات والإرهابيين. ويبدو أنّ الروابط الثقافية المتأتية من المرحلة الاشتراكية (خصوصاً في بلغاريا) لا تزال تلعب دورها. ونذكر على سبيل المثال أربع ترجمات أدبية من أصل ١٦ عملية ترجمة إلى اللغة البلغارية قام بها اتحاد الكتاب (الذي كان تحت سيطرة الدولة سابقاً)، وحافظ هذا الاتحاد على العلاقات العربية وشارك في أنشطة أدبية نظمها نظيره في سوريا ومصر. وفي بلغاريا أيضاً، شكّلت ٣ ترجمات من أصل ١٦ عمليّة ترجمة بوضوح دلائل سياسية واختيارات أدبية غير مألوفة مثل مذكرات رئيس الوزراء الأردني السابق سليمان عرار، أو مجموعة القصص الخاصة بقائد الثورة الليبية معمر القذافي، أو مجموعة قصائد عبد الرحمن شلغام الذي تولّى مناصب حكومية عدّة في الجماهيرية الليبية.

---

يمكنك إيجاد نصوص الدراسات الخمس كاملة باللغة الانكليزية على موقع [www.npage.com](http://www.npage.com) Next Page التالي: